

الوظيفة التربوية للقصة القرآنية

أ. م. ولای سمیرة

كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية

—جامعة و ه ..ران —

(تنبيه: لا يوجد ملخص ولا ترجمة لذلك).

بسم الله الرحمن الرحيم

1. المقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي هدى البشر إلى الصراط المستقيم، والصلاة والسلام على رسوله المجتبي الذي تربى على تعاليم القرآن الكريم وتخلق بما جاء فيه حتى وصفه ربه فقال ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [سورة الذاريات: 56] سيدنا محمد ﷺ، وعلى آله وصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

إن من فضل الله عز وجل على الإنسان أن كرمه على سائر خلقه و ميزه عنهم، وجعله خليفة له في الأرض، وجهازه لأجل هذه المهمة بالعقل والتفكير الأمثل، وأناط به التكليف الذي جاءت به الشرائع كما جعل له منهجاً قوياً شاملاً لجميع جوانب حياته المادية والمعنوية يسير عليه بدقة بالغة حتى يقوم بتحقيق العبودية المطلقة لله تعالى في جميع تلك الجوانب قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة القلم: 4]؛ الوسيلة والأداة التي تتحقق بها تلك الغاية التي خلق الإنسان من أجلها، هي التربية و المنهج التربوي القرآني تتنوع فيه الأساليب التربوية و ذلك نظراً لتباين الفروق الفردية بين الأفراد ومستوى ثقافتهم و كلها تهدف إلى تهيئة الإنسان للتخلي عما يحمل من مفاهيم وأفكار لا تتناسب مع القيم الإسلامية. ومن الأساليب التي لها دور كبير في العملية التربوية القصة القرآنية ولا غربة في أن تحتل هذه الأخيرة مساحة واسعة في كتاب الله عز و جل، فقد لعب الأسلوب القصصي كأسلوب تربوي دوراً عظيماً في تحقيق الأهداف التربوية.

لقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم على نبيه محمد عليه السلام بلسان عربي مبين: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة النحل: 103] أي على طريقة العرب في التعبير ، و القرآن الكريم كتاب هداية دعوة وتشريع ، فإذا جاء بالقصة فإنما يأتي بما لتحقيق هدفه الأصيل ألا وهو الدعوة .

فالقصص القرآني إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكريم الكثيرة لإبلاغ الدعوة إلى الإيمان بالله وللإشارة إلى وحدة هذه الدعوة رغم تعدد الأنبياء و الرسل واختلاف الأزمنة والأمكنة والأقوام فجميع الأنبياء و الرسل أرسلهم الله جميعا للدعوة إلى عبادة الله وحده ، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور فأولهم نوح وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى : " ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن عبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " النحل/36 .

2. مفهوم القصة في القرآن الكريم

أولا : المعنى اللغوي : القصة: ، مشتقة من القص ، وهو تتبع الأثر ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ [القصص: 11]؛ أي تتبعي آثاره على ما انتهى إليه أمره ومنه الخبر، وهو القصص، وقصص علي خبره يقصه قصا وقصصا: أورده¹ والقصص: الأخبار المتبعة². وللقصة معان أخرى متقاربة، فهي تأتي بمعنى (الخبر)، والأمر والحديث والجملة من الكلام³ والقصص: الخبر المقصوص، بالفتح، وضع موضع المصدر حتى صار أغلب عليه، والقصص، بكسر القاف: جمع القصة التي تكتب⁴

ثانيا : القصة اصطلاحا: قد تتفاوت فيها وجهات النظر، وذلك نظرا لما في القصة القرآنية من خصائص تميزها عن غيرها؛ من صدق في الواقعية التاريخية، وجاذبية في العرض والبيان، وشمولية في الموضوع، وعلو في الهدف، وتنوع في المقصد والغرض، ووضوح في الإعجاز فمدلول القصة في القرآن: "مجموعة من الأحداث السابقة زمانا يخبرنا الله تعالى عنها للاعتبار، والاتعاظ ، تتناول حادثة واحدة، أو عدة حوادث ، تتعلق بشخصيات إنسانية، أو غير إنسانية حقيقة سابقة برزت في الخير، أو في الشر ، على غرار ماتقوم به الشخصيات الإنسانية الحالية ، ويكون دور هذه الشخصيات دافعا للتأثر والتأثير في الخير اقتداء، أو في الشر ابتعادا"⁵

3. أهداف وأغراض القصص القرآني:

إنَّ المتدبر في قصص القرآن يجد في كل قصة من الأهداف والعبر ما لا تبلغ مداه الأفهام فالقرآن لا يقص قصة إلا ليواجه بها حالة ، ولا يقرر حقيقة إلا ليغير بها باطلاً ، و الهدف الأول من القصص القرآني هو هداية الناس إلا أن القصة سبقت في القرآن لتحقيق عدداً وفيراً من الأغراض التي يصعب استقصاؤها لأنها تكاد تلم بجميع الأغراض القرآنية، وصدق الله العظيم إذ يقول - مبينا تلك الأهداف العظيمة من القصص - ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة يوسف/111]. ولكن إذا ما أردنا شيئاً من التفصيل فإننا نستطيع أن نحمل أهداف القصص القرآني في النقاط التالية:

- 1- إثبات صدق النبي صلى الله عليه وسلم في رسالته.. و بيان أن دعوة الأنبياء واحدة ومنهجهم واحد، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النمل/ 43].
- 2- الاعتبار والاعتاض بأحوال الأمم السابقة ، فالعاقبة دائماً للمتقين، والبوار والخزي دائماً على الظالمين، لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ...﴾ [سورة يوسف/ 111].

- 3- إثبات الوحي والرسالة فورود القصص القرآني حيث ينبي النبي صلى الله عليه وسلم بأخبار الأمم السابقة والقرون الساحقة مما لا يعلمه أحد من العرب فكان ذلك دليلاً على أن الرسول ﷺ وحي يوحى ، وهذا ما أشار إليه الحق سبحانه بقوله: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:9]. وقوله تعالى في سورة يوسف ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ * نحن نقصُّ عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ [يوسف:2-3].

وما جاء في سورة " آل عمران" في أثناء عرض الله تعالى لقصة مريم: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَعَهُمْ آيُهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران/ 44].

4- التأكيد على وحدة الرسالات السماوية و بيان الأصل المشترك بين دين محمد ودين إبراهيم بصفة خاصة عليهما الصلاة و السلام ، ثم أديان بني إسرائيل بصفة عامة ؛ و بيان أن الدين كله من عند الله، وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، فهذا التوحيد لأساس العقيدة، يشترك فيه جميع الأنبياء في جميع الأديان، فكثيرا ما نجد قصص عدد من الأنبياء مجمعة في سورة واحدة، معروضة بطريقة خاصة، لتثبيت هذه الحقيقة وتأكيدا في النفوس. ولقد تكررت الإشارة إلى هذا في قصص إبراهيم وموسى وعيسى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ [سورة الأعلیٰ / 18] ، ﴿ ... مِثْلَ آبَائِكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ ... ﴾ [الحج / 78] ، ﴿ ... وَفَقُّنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة المائدة / 46-47].

5- تصحيح العقائد الفاسدة و الدعوة إلى التوحيد، وهذا ظاهر من خلال دعوات الرسل والأنبياء جميعا لأقوامهم.

6 - تقوم السلوك الفردي والجماعي، فلقد جاء القرآن الكريم داعيا إلى الهداية، بأساليب شتى؛ فتارة بالوعد والوعيد، وتارة بالعودة إلى التدبر و أعمال العقل وتارة أخرى بتوجيه الفطرة إلى حقيقتها و ردها إلى طريقها القويم بعد انحرافها، وهذا ظاهر من خلال سعي كل نبي لإصلاح، ومعالجة صفة معينة في قومه عدا الكفر.

7- تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ أبيهم آدم، فإبراز هذه العداوة عن طريق القصة أروع وأقوى، وأدعى إلى الاحتياط والحذر الشديد من الوقوع في شرك هذا العدو اللعين. ولما كان هذا موضوعا خالداً، فقد تكررت قصة آدم في مواضع شتى.

8- وللقصة أغراض أخرى نجملها فيما يلي:

أ - بيان قدرة الله التي لا تحد : كقصة خلق آدم. وقصة مولد عيسى. وقصة إبراهيم حين سأل ربه أن يريه كيف يحيي الموتى و غير !!!

ب - وبيان عاقبة الطيبة والصالح، وعاقبة الشر والإفساد. كقصة ابني آدم (قابيل و هابيل) وقصص بني اسرائيل بعد عصيانهم، وقصة أصحاب الأخدود، إلى آخر هذه الأغراض الوعظية، التي كانت تساق لها القصص فتفي بمغزاها.

4. خصائص القصص القرآني :

يتميز القصص القرآني عن غيره من سائر القصص بخصائص يعلو بها جلالةً وقداسةً، ويزداد بها بلاغة وإعجازاً، ويعظم بها أهمية وتأثيراً، وبهذه الخصائص استحق أن يوسم بأحسن القصص في قوله تعالى: ﴿لَحْنُ نَقْصٍ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [سورة يوسف: 3]، و من هذه الخصائص:

1- الواقعية: ونعني بها أن كل ما في قصص القرآن من أخبار الأولين فإنها هي حقائق تاريخية صادقة ليس فيها أي نوع من التناقض أو الخيال أو التصوير المجرد عن الحقيقة .

2- الشمولية: فمجدها تشمل جميع جوانب الحياة من عقائد وعبادات وأخلاق وآداب اجتماعية واقتصادية وغير ذلك..

3 القصة في القرآن الكريم تمتاز بموضوعات السورة التي ترد فيها امتزاجاً لا مجال فيه للفصل بينها وبين غيرها من موضوعات السورة، لأن القصة تسهم في بيان مضمون النص وإيضاحه للقارئ، فلو حذفنا على مثلاً ، قصة الغراب التي وردت في سورة أثناء الحديث عن قصة ابني آدم (قابيل وهابيل) لما استقام المعنى، لأن الغرض من ذكر الغرابين كان لحكمة إلهية لبيان حكمة دفن الموتى.

4- التكرار الهادف : الحكمة من تكرار القصة القرآنية في مواضع متعددة من كتاب الله تعالى هو استكمال جوانب القصة، و زيادة العبرة والموعظة مع إضفاء على أسلوب القرآن جمالية وروعة وبياناً لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله. فبالرغم من تكرار القصة عبر سور القرآن لا نجد أبداً أي تناقض لأننا أمام معجزة لغوية وبيانية تشهد على أن القرآن كتاب الله تعالى.

5 - والقصص القرآني متفاوت من حيث الطول والقصر و يكون ذلك تبعاً للهدف فقد تطول القصة فتستغرق ما يقارب سورة كاملة أو تأتي موجزة في بضعة آيات، كما قد تجمع السورة الواحدة عدة قصص كما هو الحال في قصة أصحاب

الكهف، وقصة أصحاب الجنتين وقصة موسى عليه السلام والرجل الصالح وقصة ذي القرنين.

5. الوظيفة التربوية للقصة القرآنية :

أولاً: مفهوم التربية:

التربية لغة: قال الراغب الأصفهاني: الرَّبُّ في الأصل: التربية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حدّ التمام، يقال رَبَّه، ورباه وربَّبه. وقيل: «لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن»⁶.

وقال البيضاوي: التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله شيئاً فشيئاً⁷.

وقال تعالى في قصة موسى عليه السلام عندما حكى قول فرعون: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا... ﴾ [الشعراء/18]؛ قال ابن كثير: ما أنت الذي ربيناه فينا وفي بيتنا وعلى فراشنا، وأنعمنا عليه مدة من السنين⁸.

وقد ورد في القرآن لفظ التزكية بمعنى التربية حيث قال تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة/151]. قال ابن كثير: وَيُزَكِّهُمْ، أي: يطهرهم من رذائل الأخلاق وذنس النفوس وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور⁹. وهي التربية.

التربية اصطلاحاً: ليس للتربية تعريف ثابت، لأن كل عصر يتجدد فيه معنى التربية، أما في عصرنا فقد عرفها علماء التربية بأنها: تنشئة الفرد وإعداده على نحو متكامل في جميع الجوانب العقدية والعبادية والأخلاقية، والعقلية والصحية، وتنظيم سلوكه وعواطفه في إطار كلي يستند إلى شريعة الإسلام، من خلال الطرق والإجراءات التي تقبلها الشريعة¹⁰، فالمقصود بالتربية القرآنية إذن هو ما تحدّثه تعاليم القرآن الكريم في نفس المرء من تحول و تغيير إلى أن يصل إلى أعلى قمة من الامتثال والاقتداء والتعامل .

الوظيفة التربوية للقصة القرآنية :

إن القرآن الكريم معجزة خالدة لدين خالد وشامل وصالح لكل زمان ومكان و نصيب القصة من القرآن الكريم يبلغ الثمانية أجزاء من هذا الكتاب الخالد من مجموع ثلاثين جزءاً ، وليس هذا بعجيب فلقد استخدمت القصة لما لها من تأثير على قلوب الناس ونفوسهم لذلك يجب أن ندرك أهمية هذا القصص لما له من اثر في تكوين تربية فاضلة صالحة صحيحة سليمة تؤدي إلى السعادة في الدنيا والآخرة و تنشئة جيل مسلم يستحق تولي مهمة الخلافة في الأرض و باذلا وسعه في خدمة الأمة، ليدفعها نحو العزة والرفعة، ويسمو بها نحو القمة.

و للقصة في التربية الإسلامية وظيفة تربوية ،ذلك أن القصة القرآنية تمتاز بميزات جعلت لها آثارا نفسية وتربوية بليغة، محكمة ، تدفع الإنسان إلى تغيير سلوكه وتجديد عزمته بحسب مقتضى القصة وتوجيهها وخاتمتها، والعبرة منها.

و لا أحد ينكر أن القرآن الكريم كتاب تربية ،فهو كتاب تربية وتهذيب وتطوير وتجديد لكل أمور المرء في حياته الدينية و الدنيوية ، إذ قال الله تعالى عن النبي الأمي ﴿ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [الجمعة/2]؛ لأن القصة القرآنية تحرك الدوافع الحيرة لدى الإنسان، و تجعلها تنتصر على تلك النزعات الشريرة ؛ لأنها يتأثر بأحداثها ومواقفها، فيميل إلى الخير و يفعله، وينفر من الشر و يجتنبه . وبذلك يكون قد امتثل لأمر الله تعالى .

فالقصة تؤدي دوراً مفيداً في تربية النشء وحملهم على مكارم الأخلاق.لذا فإن لأسلوب التعليم من خلال القصة آثارا تربوية بليغة ، لهذا اعتبرها الإسلام من أنجع الوسائل التربوية لتقويم السلوك و لقد استخدمها القرآن الكريم لكل أنواع التربية التي يشملها منهجه التربوي : من تربية للروح ،و العقل و الجسم ، لتحقيق اهداف تربوية ممنهجة بمنهاج الدين الحنيف والنور الوهاج الذي ينير دروب الحياة وتقوم اعوجاج النفس لان هذا القرآن من لدن حكيم خبير . و من الوظائف التربوية التي تؤديها القصة القرآنية :

1- القدوة الحسنة:

من أهم معطيات القصة القرآنية، ولا سيما قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمتضمنة للكثير من الأخلاق الحميدة إيجاد القدوة البشرية، لإمكانية العمل بمثل عملهم وقد حث القرآن الكريم في غير موضع من القرآن على الاقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة، والسلام إما على سبيل الإجمال كما جاء في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ افْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: 90].

أو على سبيل التفصيل، والتحديد كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: 21].

2- القدوة السيئة:

إظهار مساوئ النفس البشرية بضرب أمثلة من النفوس المريضة والتي تدعو قصصهم إلى التغير منهم و من مماثلتهم، أو السير على طريقهم. قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [سورة القصص: 76].

3- الدعوة إلى الأخلاق الحميدة وترك الأخلاق المذمومة:

قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة التحريم: 11].

وبالمقابل الأخلاق المذمومة: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة القصص: 4].

4- أخذ الموعظة والعبرة من القصة:

وقد دل على ذلك ختم كثير من القصص القرآنية بما يفيد أن إيرادها عبرة، وذكرى، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا

يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿سورة يوسف: 111﴾.

5 - دعوة القلوب إلى توحيد الله تعالى وإثبات أن القرآن كتاب الله تعالى:
وذلك لأن الذي يقص علينا قصص من مضى بكل هذه الدقة، وعدم
التناقض بين القصة التي ربما تكرر ذكرها في مواضع متعددة تدل على أن هذا
الكتاب من عند الله .

6 - تدريب العقول على التأمل، والتفكير والتدبر:
فالتأمل والتفكير في مجريات الأحداث للتدبر في أسبابها، ومآلها خاصة
عندما تعرض القصة الواحدة من أكثر من زاوية وبأكثر من طريقة عرض.

7 - إظهار إعجاز القرآن الكريم من نواحي متعددة :
الإعجاز الغيبي بذكر قصص حدثت قبل ميلاد النبي ﷺ قال تعالى: ﴿ذَلِكَ
مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَعَهُمْ آيَاتُهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا
كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [سورة آل عمران / 44]. وقال تعالى: ﴿لَنْ نَقْصُ
عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾
[سورة يوسف: 2-3].

ومن المعاني المهمة التي تربي عليها النفس المؤمنة من خلال القصص القرآني
المبارك:

1- التأسي بالأنبياء و الرسل في أساليبهم وطرائقهم في الدعوة، وصبرهم
وثباتهم عند النوائب المقلقة، ومقابلة ذلك بالطمأنينة والسكون ، وهذا له أثر عظيم
في تربية النفوس المؤمنة على التحمل في سبيل الله تعالى، قال تعالى: ﴿...وَالْعَاقِبَةُ
لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: 128].

أ. الصدق والإخلاص لله في جميع الحركات والسكنات، فإن الصدق
والإخلاص عملاقان جليان من أعمال القلوب، بل لا تصح أعمال القلوب إلا بهما،
إذ هما الفرقان بين النفاق والإيمان، فالإخلاص أن لا تشرك بالله شيئاً، وأن لا تريد
بعملك إلا وجه الله ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي
أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (هود: 51). والصدق أن تجمع همتك على إحسان العمل؛ فتكون

صادق القول والعمل. فصحة الإخلاص تستلزم وجود الصدق، والصدق يقتضي الإخلاص.

ب. وتربية النفوس على التعلق ببارئها الواحد الأحد الفرد الصمد ، واللجوء إليه، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والخوف منه والخضوع لشرعه، وحبه ورجاؤه ، ودعاؤه والاستعانة والاستغاثة به.... وجعل ذلك كله منهجاً للحياة و التوجه إليه بكل ما يحبه و يرضاه من الأقوال و الأفعال و الاحاسيس الظاهرة و الباطنة ، كما قال -تعالى-: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ . لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الأنعام: 162-163).

ج. تربية النفوس على الترفع عن مخالطة الشهوات لتحلق طلباً لمرضاة علام الغيوب.

د. حمل النفس على مكارم الأخلاق ومعالي الأمور حتى يرتقي مجمل المجتمع الإسلامي إلى مستوى أمة الشهادة

هـ. تلمس المعاني التربوية من صبر، ومداومة، وتعاون، واجتماع على الخير، ومتابعة، وترتيب، وخشوع، وإنصات.

6. النماذج القرآنية :

القواعد التربوية الأسرية كما تظهرها القصة القرآنية في سورة يوسف :

لقد قص علينا القرآن الكريم بعضاً من سير الأنبياء والصالحين في تربية أولادهم وأهلهم، مثل إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ولقمان عليهم السلام وغيرهم. أما يعقوب عليه السلام فنجدته يتعهد أولاده في رmqه الأخير كما قال الله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لَبْنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهاً وَاحِداً وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: 133].

فانظر إلى سيدنا يعقوب عليه السلام كم كان حريصاً على تربية أولاده، يوصيهم في اللحظة الأخيرة بتوحيد الله ولم يوصيهم بغير ذلك. والمتدبر لسورة يوسف يجد فيها أساليب ممتازة للتربية الأسرية ومشاكلها وحلولها ، ففي سورة يوسف

تتجلى الواقعية من خلال أسرة نبوية ، وتظهر مرونة في معالجة الأخطاء التي تعترض أفراد الأسرة ، ونرى جلياً طموح الآباء، ونرى حسد الإخوة وغيرتهم ونرى الفتن التي تعترض سبيل هذه الأسرة ، كما نرى النصر بعد طول صبر، و نرى الأخ الذي يعفو و يصفح عن إخوته رغم عزه وجاهه وسلطانه .

وعند قراءة سورة يوسف قراءة تربوية نستلهم النقاط التربوية العملية التالية:
أ. في بداية السورة قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلْمُتَذَكِّرِينَ﴾ [يوسف: 7].

وفي نهايتها نجد قوله تعالى: " لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون "يوسف/111. وهكذا تنسجم بداية السورة مع ختامها ، في أخذ العبر والعظات التربوية

ب. قوة العلاقة الأب وولده الصغير بحيث يصل لدرجة قص الرؤيا على والده ، ثم نرى تيقن الأب من حسد ابنائه الكبار لأخيه يوسف ، لذا ينصح ابنه الصغير يوسف بعدم قص الرؤيا: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: 4 - 5].

ج. ثم نرى نصيح الأب لابنه الصغيرة بتوقع مستقبل النبوة له باصطفاء الله تعالى ، وتعليم الله له تأويل الرؤيا التي سيكون له شأن كبير فيها: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: 6].

د. ثم نرى حسد الإخوة الكبار لأخيهما الصغير المحبوب لقلب والده أكثر منهم، وتواطؤهم على التخلص منه: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَا مَتَّ وَنَحْنُ عَصَبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ * قَالَ قَاتِلْ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا

يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنَّ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿يُوسُفَ: 8-10﴾. وفي هذا دعوة إلى ضرورة اجتهاد الآباء في كتمان حبيبهم الزائد و تفضيلهم لأحد ابنائهم على الآخرين حتى يشعر الجميع كما أخبر الرسول ﷺ والد النعمان بن بشير بضرورة استرجاع هبته من ابنه لأنه لم يهب باقي أبنائه مثلها و قال له : أعطيت سائر ولدك مثل هذا قال لا قال فاتقوا الله و اعدلوا بين أولادكم"، و بحكمة نبينا صلى الله عليه و سلم سلمت أسرة البشير من مخاطر كثيرة كانت ستنتج عن التفضيل من غيرة وحسد و كراهية و قطع للأرحام وعقوق للوالدين .

هـ. انظر إلى جواب الأب المناسب للعرض الخادع الذي قدمه له أبناؤه: ﴿قَالَ إِنِّي لِيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ * قَالُوا لَنْ نَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ [يوسف: 13-14].

و. قد نستفيد مما سبق بضرورة إنشاء الحوار بين الآباء والأبناء ، إذ هو السبيل لتنمية الثقة بالنفس عند الأبناء.

ز. وبعد تمام مؤامرة التخلص بالإخوة من أخيهما الصغير بإلقائه في الجب ، وأمام كل الحجاج التي جاء بها أبناء يعقوب عليه السلام التي ظاهرها الحق وباطنها الباطل ، نرى موقف النبي الذي جاء جوابه بالتوكل على الله والاستعانة به على كل تلك الحجاج الباطلة وهنا يعلمنا القرآن كيفية مواجهة الأحداث بالتوكل على الله والصبر الجميل وعدم الاستياء من قدر الله تعالى وبذلك تزداد نفس المؤمن قوة على مواجهة الكرب والحزن .

ح. يقدم الله تعالى لنا في هذه القصة درساً إيمانياً أن الله يتولى عباده بالرعاية في كل خطوة إلا أن أكثر الناس غافلون عن ذلك.

القواعد التربوية كما تظهرها القصة القرآنية في سورة كهف:

ومن قصص القرآن أيضاً قصة أصحاب الكهف التي ذكرها الله في سورة الكهف وهي السورة التي رغب النبي صلى الله عليه وسلم في قراءتها وحفظ بعض

آياتها ففي صحيح مسلم عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "من حفظ عشر آيات من سورة الكهف عصم من الدجال".

وملخص قصة أصحاب الكهف أنهم فتية آمنوا بربهم ووحده في العبادة وكان قومهم مشركين فاعتزلوهم إلى كهف فضرَب الله عليهم النوم فناموا ثلاثمائة سنة وتسع سنوات. ثم بعثهم الله من نومهم فحفظ الله لهم دينهم ووقاهم الفتن وعصمهم منها ونالهم شئ عظيم من العز والشرف بعد أن تبدلت أحوال الناس جزاء صبرهم وثباتهم وإيمانهم.

من أهم القواعد التربوية التي احتوتها قصة الفتية في سورة الكهف بعد تدبرها و تأملها نجد أنها جاءت بمجموعة من الآداب التي يجب على المسلم أن يلتزم بها مع الله سبحانه، عقيدة و عبادة و سلوكا ، كوجوب أن يكون الولاء لله وحده، و التذكير بقدرته الله التي لاتحد. كما اهتمت آيات قصص سورة الكهف بعلاج قضايا حياتية سلوكية لاحتوائها آداب جمّة منها:

أ. آداب الصحة الصالحة المعروضة في قصة الفتية، من وجوب اختيار صاحب على أساس الدين و الخلق فعلى المسلم ولا سيما الشاب في مستقبل عمره أن يحسن اختيار الصحبة وليحرص على أصحاب العقيدة السليمة وليحذر من صحبة الأشرار من أصحاب العقائد الفاسدة أو الأخلاق السيئة فإن صحبتهم داء عضال يضر في الحال والمآل. ، وأثر ذلك على سلوك الإنسان، وحقوق صاحب من التناسح، والوفاء بالعهد.

ب. أن من صدق مع الله صدق معه وأحاطه بلطفه وهياً له من الأسباب ما لا يخطر له على بال

ج. يستفاد أيضا الحرص على أكل الطيب المباح فإنهم عندما أرسلوا أحدهم أمره أن يعتني بأزكى الطعام، فعلى المسلم أن يحرص على إطعام نفسه و أهله من الحلال وليحذر من الكسب الحرام .

د. هذه القصة دليل ظاهر على البعث والنشور يوم القيامة فالذي أيقظ أولئك الفتية بعد ثلاث مائة سنة قادر على إعادة الأجساد بعد موتها.

هـ. ما زلنا مع القصص الذي ورد ذكره في سورة الكهف قصة الخضر وموسى عليهما السلام وهي قصة وقائعها في كتاب الله لا تحتاج إلى شرح وافي؛ فهي واضحة ومفهومة؛

لكن فيها دروس تربوية، وعبر كثيرة؛ إلا أننا سنكتفي ببعض منها:

1- على الإنسان ألاَّ يعجب بعلمه ويظهر ذلك في معاتبة الله تعالى لموسى عليه السلام بعد أن سئل عن أعلم الناس فنسب ذلك إلى نفسه، فعلى المسلم أن لا يرى في نفسه إعجاباً بعلمه أو فهمه أو تميزه، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وما أوتي الإنسان من العلم إلا قليلاً حتى لو كثر.

2- الحرص على التعلم مهما بلغت مكانة الإنسان العلمية .

3- آداب العالم والمتعلم التي كشفت عنها آيات قصة موسى عليه السلام مع الخضر، فمن جهة العالم : التواضع، عدم كتم العلم - هذا من جهة العالم- أما المتعلم فيجب أن يتمتع بآداب منها:

أ. أن يكون مستعينا بالله، ويصبر و يصبر على طلب العلم، أن يتحلى بالتواضع معلمه.

ب. أن يكون حاضر القلب، ذو طاعة وأدب في مخاطبة العالم.

ج. كما أن من الأدب التربوي أيضاً ألاَّ يتعجل التلميذ بسؤال معلمه حتى ينهي حديثه، فربما عرض الجواب في ثنايا الحديث، وذلك يؤخذ من قوله: ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [الكهف: 69]

4- يتعلم من القصة المبادرة إلى الإنكار في حال وقوع المنكر.

5- صلاح الأب ممتد الأثر ودائم النفع، إذ في الآية دعوة لأن يبدأ الآباء بتربية أنفسهم قبل تربية أبنائهم، لتكون الثمار يانعة: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ [الكهف/81].

7. الخاتمة :

وهكذا نجد أن أسلوب التربية بالقصة في القرآن يحقق الأهداف المرجوة منه . فالقصة القرآنية ليست غريبة عن الطبيعة البشرية ، إنما جاءت علاجاً لواقع البشر الذي لا يتم إلا بذكر جانب الضعف والخطأ على طبيعته ، ثم بوصف الجانب الآخر الواقعي المتسامي الذي يمثل الأنبياء و الرسل ، لينتهي عنده المطاف بعلاج ذلك الضعف والنقص علاجاً ينهض بالهمم، ويدفع بالنفس للسمو ، ما استطاعت ، إلى أعلى القمم ، حيث تنتهي القصة بانتصار الدعوة الإلهية ، ووصف النهاية الخاسرة للمشركين الذين لم يستجيبوا لنداء ربهم فيزكو أنفسهم . ولقد دلت التجارب على أن أشد المواعظ الدينية نفاذاً إلى القلوب ما عرض في أسلوب قصصي ، يحمل المتلقي على المشاركة الوجدانية ، ويدفعه إلى التأثير بالأحداث والمواقف والشخصيات القرآنية فللقصة دور فعال في تطوير القيم والسلوك ولا سيما في عصرنا الذي بات الرجوع فيه إلى طريقة القرآن الكريم لتقويم النفوس، وتربية الناشئ أمر محتم لا مخرج منه؛ لأنه لن يصلح آخر الزمان إلا بما صلح به أول الأمة.

و من أهم النتائج :

1- إن الوظيفة التربوية للقصة تجمع بين المثالية والواقعية لأنها حين تقوم على قيم التوحيد والتقوى ، وإقامة الشعائر ، وضرورة العمل والكسب ، والتمسك بالفضائل و التخلي عن الرذائل و الدعوة إلى أعمال العقل بالتدبر و التفكير عندها يمكن إيجاد الشخصية المسلمة المتكاملة الجوانب.

2- أن القصة القرآنية من أهم الوسائل التي نهضت بمهمة التربية في شتى مراحلها ، وقد لجأ إليها القرآن الكريم في الترغيب والترهيب ، وفي شرح أهداف الدعوة ، وفي تثبيت العقيدة ، وفي الدلالة على صدق الرسالة والرسول صلى الله عليه وسلم القصة القرآنية هي الأسلوب الفاعل في تربية الإنسان وربط حاضره بماضييه.

3- في القصص القرآني تربة خصبة تساعد المربين على النجاح في مهمتهم، وقدهم ب زاد تهذيبي من سيرة النبيين، وأخبار الماضين وسنة الله في حياة المجتمعات، وأحوال الأمم.

- 4- فعلى المربي أن يصوغ القصة القرآنية بالأسلوب الذي يلائم المستوى الفكري للمتعلمين، في كل مرحلة من مراحل التعليم.
- 5- في قصص القرآن الكريم مادة ثرية للأطفال يمكن أن تروى لهم بصورة مبسطة بدل اللجوء إلى القصص الغريبة المتنافرة مع ديننا وقيمنا.

8. الهوامش:

- (1) لسان العرب : 7 / 74.
- (2) مفردات ألفاظ القرآن ص: 671
- (3) لسان العرب: 7 / 73، 74.
- (4) لسان العرب: 7 / 73، 74.
- (5) عبد الرحمن داود جميل عبدالله، منهج القصة القرآنية في ترسيخ الأخلاق ، ص14
- (6) مفردات القرآن . للراغب (1 / 336)
- (7) تفسير البضاوي (1 / 51)
- (8) تفسير ابن كثير (3 / 443)
- (9) تفسير ابن كثير (1 / 464)
- (10) أصول التربية الوقائية للطفولة للدكتور حسين با نبيلة ص 15-16